

## المنهج الاقليمي أو الخاص يتناول دراسة

" مجموعة الجغرافيات الطبيعية والبشرية الاقليم ما أو بقعة ما من سطح الارض خلال فترة زمنية معينة أو عبر فترات زمنية متتالية فمثلا قد يتناول الباحث فيه دراسة بعض المظاهر الجغرافية ، كالمناخ أو الغطاء النباتي ، أو التطور العمراني باقليم ما ، أو تطور النشاط الاقتصادي أو الديموغرافي عبر المساحة من سطح الارض تعرف " بالاقليم منطقة محددة ومثال ذلك اقليم جنوب افريقيا ، الذي عرفه الاوروبيون منذ عام ١٩٥٢ م فأسسوا فيه ( شركة الهند الشرقية الهولندية ) بمدينة الكاب ، واصبحت بذلك ميناء السفن المتجه نحو مستعمراتهم الاسيوية ولقد استقرت هذه الشركة مدة قرن ونصف من الزمان ، بالاقليم حتى أن بعض البرتغاليين تحولوا من حرفة الملاحة وركوب البحر الى حرفة الزراعة والاستقرار والرعي ومن هنا عرفوا باسم البوير الذين توسعوا بعد ذلك شرقا على ساحل ناتال Boer فقاموا بعزل الصيادين البوشمن في فيافي كلهاري ، كما نزحوا من الهنتوتت الرعاة مراعيهم وقطعانهم حتى حولهم خدما لهم وبدا أصبحوا غير منتجين بالنسبة للاوروبيون • وكانت شركة الهند الشرقية الهولندية قد جلبت به الرقيق من ( باننو ) شرق افريقيا ومدغشقر ، ومن آسيا م شبه جزيرة الملايو ، وقد اختلطوا بالهنتوتت ن ، كما اختلطة ط

الاخيريين ايضا ببعض الاوروبيين ، فنشأت جماعة ( الكاب ) الملونين الذين عرفوا ( بالرهوت ) Re ha both وبينما كان البوير يتجهون شرقا وشمالا في هضبة الفلد والكارو ، كانت هناك هجرة مضادة لقبائل الباننو ( الزولو والتبوانا ) وغيرهم تقصد جنوب افريقيا فنشأ صدام عنيف بينهم دام قرابة مائة عام . وهكذا كان تعمير اقليم جنوب افريقيا خليط ا جماعات هي : ٦,٦٠,٠٠٠ نسمة من السكان الأصليين والباننو الملونين من شرق افريقيا •

٢,٠٠٠,٠٠٠ نسمة من الأوربيين ، منهم ٣٥% \* بريطاني الاصل و ٥% يهودي نت شرق اوربا والباقي من البوير • ٧٧٠ ر ٠٠٠ • الخلاسيين في مستعمرة الكاب وهم على جانب متواضع من المدينة الغربية . ٣٢٠ ر ٠٠٠ • نسمة من طوائف ( دنيا ) هي الهندية ويعيشون ناتال وترانسفال .

ومن الملاحظ في هذا الاقليم رغم تطوره العمراني السابق انه يتميز بعدم التجانس بدليل ظهور مشكلة التفرقة العنصرية من جانب ( البوير و الاوروبيون ) الذين اتخذوا من حاجز اللون colour bar ذريعه للحيلولة دون ان يشتغل جماعات الأخرى بالمهن الراقية لهذا فقد احتجزوا في مناطق خاص بهم غير كافية للزراعة أو الرعي وهي ما يطلق عليه اسم المعازل Reserves

وهناك مثال اخر من العالم الجديد ، الا وهو تعمير امريكا اللاتينية بسكانه حيث تمثل المنطقة الواقعة جنوب نهر ريوجراند المكسيك - ثم امريكا الوسطى وجزر الهند الغربية - أو جزر الكاريبي اضافة الى امريكا الجنوبي وتسود هذا الاقليم اللغة الاسبانية باستثناء البرازيل التي يتحدث أهلها البرتغالية وايضا بعض جزر الكاريبي التي يتحدث أهلها الفرنسية ونظرا لموقع الاقليم بين المداريين باستثناء اطراف امريكا الجنوبية التي تندرج في الاقليم القطبي المتجمد ، اضافة الى عوائقه التضاريسية الجبلية من الشرق للغرب ، فانه كان يغطي بالنبات الطبيعي الممثل في الغابات الاستوائية وحشائش السافانا التي عرقلت تقدم العناصر السكانية الوافدة اليه الى أن حل عام ١٥٤٠ م حيث زحف اليه الاستعمار الاسباني والبرتغالي في هيئة غزو عسكري وتبشير ديني ، ثم استعم ار اقتصادي ، من خلال بعض ممراته النهرية خاصة التي تخترق اقليم الحشائش الحارة ( السافانا ) مثل نهري بارانا و اركواي فزاحوا بذلك سكانه الاصليون كالهنود الحمر اصحاب الحضارات الراقية التي حطمها الغزو العسكري الاوربي فيما بعد عنده خضعت للحكم الاسباني والبرتغالي ومن هنا استحوذت طبق الفاتحين Conquistadores ذات العرق الاسباني على افضل القطاعات واستغلوها لحسابهم فقط . كما عانت قبائل جزر الكاريبي ذلك فقاومت الاسبان بشده وكان رد الفعل امامهم هو استبعاد الهنود الأمريكيين وتسخيرهم للعمل في مزارع القصب الواسعة ، وعندما رفضوا ذلك اتجه المستعمر الى جلب عناصر أخرى من غرب افريقيا وساحل غانا وهي ما عرف بالرقيق الاسود . الكاريبي ذلك فقاومت الاسبان بشده وتوالت حركة الاستعمار الاسباني والبرتغالي ، في شكل :

جنود يحطمون الطرق القديمة وينشئون مكانها دوقيات . سيبشرون بالمذهب الكاثوليكي المسيشن . ارض يتقاسمها ( الغزاة الفاتحون والتجار ) . قراصنه يجلبون العبيد من غرب افريقيا . مناجم تستغل ، ومواشي تستورد من اوربا لتربيتها وتصدير جلودها . ثم طبقة ملاك عليا ، سلالة الفزاه الفاتحين ذوي اصل اسباني او برتغالي واخيرا طبقة دنيا من الهنود

الأمريكيين والزنوج و المولدين وليس بينهم طبقة وسيطه وجدير بالذكر انه يتبع في الدراسة الإقليمية ، نفس طرق البحث الميداني - سوف نوضحها في مجال الحديث عن المادة العلمية لجغرافية عصر ما قبل التاريخ - وسوف نضرب لذلك مثال من صحاري عالمنا الإسلامي والعربي ممثلا في الفاو على النحو التالي ، رغم أنها تمثل بداية العصر التاريخي .

## الجغرافية العربية الإسلامية . :

نشأتها وتطورها : اعتاد بعض الباحثين على القول بأن الجغرافية العربية هي وليد شرعي للجغرافية

1 اليونانية والرومانية غير ان الدارس النشأة الأفكار والصور الجغرافية بعد أن جذورها تغرب في التاريخ أي ما قبل تعرف العرب على علوم الهند والفرس واليونان . كما يلاحظ انها انبثقت من الجاهليين فهناك قصائد تشتمل على وصف جغرافي دقيق للمكان كما يشتمل كل اوصاف للعادات والتقاليد البشرية والنبات والحيوانات . وتلك هي المواضيع الأساسية التي تعالجها الجغرافية الوصفية . وقد أورد الهمداني في كتاب ( صفة جزيرة العرب مع مرات من تلك القصائد ذات المعاني الجغرافية . أما الجانب الآخر من العلوم الجغرافية و هو الجانب الفكر كانت ذات صلة كبيرة في حياة بدو الجزيرة العربية الذين كانوا في الترحال الدائم وكان لابد لهم من الاستدلال بعض النجوم في رحلاتهم اليومية . بما أن طبيعة المناخ الصحراوي المتمثل بسماء صافية في معظم السنة كان يثير التأمل ويشجع على محاولة التعرف على طبيعة النجوم والكواكب المتألثة في السماء المترامية الأطراف لذلك قيل ان براعة العرب في علم الفلك ترجع قبل كل شيء الى صلاحية بيئتهم الطبيعية لتطور هذا العلم وقد عرف البدو مما لا يقل عن و ٢٥٠ نجم بتسميتها العربية الخاصة كما عرفوا بعض الكواكب المهمة كالزهرة و عطارد اضافة الى معرفتهم بمنزل القمر . وقد أطلقوا على هذه المعرفة اسم ( علم الانواء ) . ومنذ بدء اهتمام العرب في صدر الإسلام بأمور الثقافة و لاسيما ما يتعلق باللغة العربية اخذت طلائع المؤلفات الجغرافية وكان مؤلفوا علماء اللغة لذلك فقد اتفق على تسمية هذه المرحلة عند تاريخ الجغرافية العربية باسم المدرسة اللغوية ويمكن القول أن العامل الأول المشجع على ازدهار هذا النوع من التأليف هو الاهتمام بجزيرة العرب الذي ظهر فيها النبي محمد صلى الله عليه وسلم ) ومحاولة التعرف على كل شيء يتصل بأرض الجزيرة وسمائها وبشرها ونباتاتها وحيواناتها ولعل من أبرز المؤلفات في هذا الميدان تلك التي تنسب الى هشام بن محمد .... الكلبى الذي ذكر له ابن النديم في الفهرس عدة مؤلفات جغرافية منها كتاب البلدان الكبير وكتاب الصغير والأنهار والأقاليم الا ان كتبه بأجمعها قد فقدت ولم تصل الينا كذلك مؤلفات ابو زيد سعيد الانصاري منها كتابه في المطر الذي ضمنه مختلف المفردات اللغوية في المط - بر والسحاب والرعد والبرق والندى وظروف تكوين كل منها . ويذكر أن هذا الكتاب يتميز في الوصف بحيث ان اسماء السحاب ، فيها تطابق ما تعارف عليه علماء المناخ الأوربي في الوقت الحاضر وهناك كتاب الانواء وكتاب اسماء جبال تهامة و غيرها من المؤلفات الأخرى . ومجمل القول ان الكتاب المذكورين كانوا مدرسية للذين الفوا عشرات الكتب التي تتحدث عن جغرافية العرب الجغرافية العربية في المرحلة الثانية من منطقة من مناطقها وعن معالمها الطبيعية والبشرية والمناخية والاقتصادية . واشتملت الجغرافية العربية في المرحلة الثانية من النصف الثاني من القرن الثالث الهجري وهي المرحلة النصف

وهي المرحلة التي بلغ اثناءها الاهتمام بالفكر الأجنبي فقد ( انكب المترجمون على ترجمة ثمار الفكر الهندي والاعريقي والروماني إلى اللغة العربية وقد شهد هذا العصر تأثيرا عظيما" بالمعرفة اليونانية والرومانية خاصة اراء بطليموس 2 ) و لاسيما في كتابه ( الجامع ) وكتاب المرشد إلى الجغرافية ) . مؤلفا ومن ابرز المؤلفات من هذه المرحلة التي نستطيع ان نطلق عليهاطور الترجمة الخوارزمي وابن رسته اذ ان اغلب معلوماتهم الجغرافية اقتبست اما عن اليونانية مباشرة او عن الترجمان او الخلاصات السريانية و الرومانية والواقع أن هذه المرحلة من عمر الجغرافية قد ركزت على الفلك بالذات وقد أصبح هذا العلم في ذلك العصر محذ لاهتمام الحكماء والعلماء . ويمكن القول أن التشجيع الذي حظي به هذا العلم من قبل الخلفاء العباسيين منذ عهد المنصور والذي بلغ ذروته على ايدي المأمون الذي كان يشترك بنفسه في الابحاث الخاصة بهذا العلم ويرى علمانه رعاية خاصة حيث كان المسؤول الأول عن ازدهار هذا الاتجاه الرياضي في الجغرافية هذا فضلا عن اليونانية والرومانية غير أن توقف أركان الدولة العربية الإسلامية في مساحة مترامية الأطراف من العالم القديم قد خلق ظرفا جديدا " كان لابد الجغرافية ان تستفيد منه وان تثبت قدراتها في ميدان الفكر العربي . وسرعان ما اتجهت الجغرافيه والكتابات الجغرافية أنجأها عمليا جديدا منذ بداية القرن الرابع الهجري واصبحت المعرفة الجغرافية في خدمة متطلبات الدولة الإسلامية الكبرى عسكريا وإداريا واقتصاديا " وازدهرت المؤلفات التي تنتمي الى المدرسة التي اصطلح على تسميتها بالمدرسة الكلاسيكية وهي تعتمد على الخبرة الشخصية لا تكاد تخضع في شيئا " من التأثير اليوناني والواقع أن هذه المرحلة من مراحل الجغرافية العربية التي امتدت منذ بداية القرن الرابع الهجري حتى أوائل القرن السادس الهجري تمثل قمة ما وصلت الجغرافية العربية من ازدهار كما أنها تمثل الشخصية الحقيقية الأصلية

للجغرافية العربية فقد كانت معلومات كتابها تعتمد بدرجة الأولى على الدراسة والمشاهدة والاختبار الشخصي مما جعلها ذات ثقة وكفاءة عالية وكان على راس جغرافي هذه المدرسة اليعقوبي والمسعودي والاسطخري وابن حوقل والمغربي والادريسي وغيرهم فقد ادخل هؤلاء الجغرافيين تقاليد جغرافيا جديدا وراسخا في الكتابة الجغرافية العربية وهو استخدام الخرائط لتوضيح التفاصيل الواردة فيه والواقع أن ازدهار هذا الاتجاه الجديد في الكتابة الجغرافية كان خلاصة ظروف مساعدة فقد كان اتساع رقعة الدولة الاسلامية يتطلب معلومات جديدة عن ذلك البلدان النائية وشعوبها فلا بد للحكام المسلمين أن يتعرفوا على طبائع السكان وتقاليدهم وعلى انتاج البلاد الزراعية

والصناعية ويمكن تقدير خراجها مما لا بد لهم من التعرف على اسماء مدنها الهامة والطرق المؤدية اليها وقد كان فاتحة هذا النمط من التأليف الجغرافية يتمثل في كتاب ( المسالم والماليك ) لابن خردادبه و كتاب ( الخراج ) لقدامة بن جعفر وقد استفاد مؤلفوا هذه الكتابا وطائفهم الادارية في جميع المعلومات عن البلدان النائية فقد شغل ابن خردا : به ادارة البريد كما كان قدامه بن جعفر محاسب في ديوان الخراج امار المؤلفون ) الاخرون فقد استفادوا من امكانيات السفر المتمثلة بسعة شبكة المواصلات وتوفر الأمن فيها فاخذوا يشدون الرحال ويطوفون في البلدان شرقا وغربا وشمالا وجنوبا " وتمكن هؤلاء الجغرافيون من جميع المؤلفات جديدة عن البلدان الاسلامية عن طريق المشاهدة الشخصية و السؤال والاستقصاء و للجغرافيين السابقين . ولعبت التجاره دور هام في تطوير المعرفة الجغرافية لرواد هذه المدرسة بل ان البعض منهم كان يمارس التجارة فضلا عن هوايته العلمية . وبتفكك ، الدولة الاسلامية وضعف سلطتها المركزية انتقلت الجغرافية منذ بداية القرن السادس الهجري هي الي طور جديد آخر هو طور الاقتباس و هي المرحلة التي انتهى فيها عهد التجديد والابتكار واقتصرت الكتابة الجغرافية على مجرد الجمع والاقتباس الا أن التركيز فيها كان على المعاجم والموسوعات و الرحلات فأما المعاجم والموسوعات فكانت سمة ذلك العصر في جميع حقول المعرفة ومن ابرز الأمثلة على تلك المؤلفات ( معجم البلدان ) لي قوت الحموي و ( نهاية الأرب ) للنويري و ( مسك الأبصار ) لابن فضل الله الحموي وساد في أذه المرحلة من تطور الجغرافية العربية اتجاه يمثل المزج بين العلم والخرافة وتناول الكتاب وصف مختلف ظواهر الكون وكانت ، كتابتهم على ذكر عجائب الطبيعة من نبات وحيوان وظواهر جغرافية وبشرية وكانت معلوم . تهم تخرج عن حدود المنطق والعلم احيانا الى حدود الأسطورة والخرافة والواقع أن هذا الاتجا ، انحدر بالجغرافية انحدارا " سريعا " وتحولت الى ما بين الحكايات والقصص ولاشك أن أولئك كانوا يدخلون بكتاباتهم جمهرة واسعة من القراء من ذوي الثقافة المحدودة وخير ما يشمل هذا الاتجاه القزويني في كتابه ( اخبار البلاد واثار العباد ) و الدمشقي في كتابه ( عجائب الدهر ) وازدهرت في هذه الفترة من تاريخ الجغرافية العربية الرحلات الا انها اتخذت نمط مغاير في القرن الرابع الهجري اذا ان الرحلات الجديدة ذات طابع ادبي عموما وذان صبغة اخبارية سطحية وقد لعبت العامل الديني دورا رئيسيا في تشجيع هذا النمط من الكتابة الجغرافية اذ كان واقع اغلب كتاب الرحلات هو حج بيت الله الحرام وتهيئة لهم فرصة زيارة المدن العديدة من العالم الإسلامي وقد تنوعت مشاهدتهم وقد ركز هؤلاء الرحالة على ذكر المشاهد الدينية والمساجد كما اهتموا اهتماما خاصا " بلقاء علماء الدين والمتصوفة وقد وردت في كتاباتهم المعلومات

البشرية والاقتصادية كذلك المعالم الطبوغرافية للمدن و البلدان التي تمت زيارتها ولكن بصورة عرضية وتعتبر رحلة ابن جبیر ( افضل نموذج لهذا النمط من الكتابات الجغرافية غير أن رحلة ابن بطوطة تتفوق عليها بما اشتملت عليه من معلومات عن أقطار اسيا الوسطى والجنوبية والجنوبية الشرقية